مدرسة وخانقاة
الأمير مغلطاي الجمالي
(730هـ / 29-1330م)
شارع قصر الشوق بحي الجمالية
بمدينة القاهرة

أ.د / جمال عبد الرحيم إبراهيم حسن

أستاذ الآثار والفنون الإسلامية

كلية الآثار جامعة القاهرة

منشئ هذه المدرسة والخانقاه هو الامير علاء الدين مغلطاى الجمالى بن عبد الله الاستادار ودفن بها عام 732هـ/1332م، وجعلت هذه المدرسة لتريس المذهب الحنفي، وأيضا خانقاه للصوفية، وتولى تدريسها ومشيخة التصوف بها الشيخ علاء الدين علي بن عثمان التركماني الحنفي، ثم ابنه قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركماني الحنفي، وابنه قاضي القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله بن علي التركماني الحنفي، ثم أحد أقاربهم حميد الدين حماد، ، وكان يسكن داخل المدرسة أكابر فقهاء الحنفية، وتعد من أجل مدارس القاهرة، ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية للصرف عليها، وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها، وتخريبهم أوقافها، وتعطل منها حضور الدرس والتصوف، وصارت منزلا يسكنه أخلاط ممن ينسب إلى اسم الفقه،

مغلطاي الجمالي: ابن عبد الله الجماليّ الأمير علاء الدين عرف (بخرز) وهي كلمة بالتركية تعنى (الديك) بالعربية، اشتراه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ونقله وهو شاب من الجامكية إلى الأمرة على إقطاع الأمير صارم الدين إبراهيم الإبراهيميّ نقيب المماليك السلطانية المعروف بزير الأمرة في عام 718هـ/1318م وصار السلطان الناصر ينتدبه في التوجه إلى المهمات الخاصة به ويطلعه على سره، ثم بعثه أمير الركب (بعثة الحج) إلى الحجاز في نفس السنة.وهناك ألقى القبض على الشريف أسد الدين رميتة بن أبي نميّ حاكم مكة وأحضره إلى قلعة الجبل بالقاهرة في 719هـ/1319م، بعدها عينه السلطان إستاداراً بدلاً من الأمير سيف الدين بكتمر العلائي في عام 723هـ/1323م. بعد ذلك أرسله السلطان الناصر محمد على رأ س جيش للقضاء على ثورة بالأسكندرية عام 727هـ/1327م ونجح في تأديب كل من قام بها سواء بالضرب أو القتل أو أخذ الأموال .وبعد ذلك علا نجمه في بلاط السلطان مما أدى إلى حدوث فتنة ونزاع بينه وبين كثير من أمراء السلطان الناصر محمد،فعفاه السلطان من منصبه وبعدها سافر إلى بلاد الحجاز،وأثناء عودته توفي بمنطقة عقبة إيلة في عام 732هـ/1332م وحُمل إلى القاهرة ودفن بهذه الخانقاه والمدرسة.

المراجع:

البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي.

المنهل الصافي

حسن المحاضرة

السلوك لمعرفة دول الملوك

الخطط المقريزية

الوصف المعماري

تعد الواجهة الشمالية الشرقية هي الواجهة الرئيسية للمدرسة والمتبقية الآن ،وتمتد بطول 20،5 مترا .ويقع المدخل الرئيسي بالركن الشرقي منها وهو الآن منخفض عن مستوى الشارع الرئيسي بحوالي 2م، وينزل إليه بعدة درجات للوصول إلى داخل المدرسة،ويقع هذا المدخل في دخلة معقودة بعقد ثلاثي يتوسطها فتحة باب مستطيلة أرتفاعها 2،48م يغلق عليها مصراعي من الخشب حديثي العهد،ويبدو أن

الجزء العلوي للمخل كان مبني بالحجر حتى مستوى السطح العلوي للمدرسة إلا أنه مندثر الآن بدليل عدم تناسق كتلة المدخل هذه وإمتداد الواجهة الرئيسية من جهة وفقدان جزء من النص التأسيسي من جهة أخرى خاصة في بدايته،وهي الكتلة التي كانت تضم قديما عضادتي المخل وتستمر بطول إمتداد الواجهة ونصها" بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تليهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويجزيهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب أمر ببناء هذه الخانقاه المباركة السعيدة من فواضل أنعام الله وجزيل عطائه المقر الكريم العالى المولوى الأميرى الأجلى الكبير المحترمى المخدومى الاسفهلارى العالمى عمدة الملوك والسلاطين مغلطاى الجمالى أستاذ الدار العالية الملكى الناصرى وكان الفراغ فى ربيع الأول سنة ثلاث وسبعماية " وذلك بالخط الثلث المملوكي حفراً بارزاً مباشراً بالحجر.

وبالواجهة الرئيسية يوجد دخلتان مستطيلتان يمتددان بعرض الواجهة ليتوجهما من أعلا حطة من المقرنصات الحجرية، وشغل بداخلهما بأربع فتحات من الشبابيك السفلية منها مستطيلة والعلوية معقودة على النظام المعماري السائد في العصر والمعروف باسم القندلية البسيطة.

ويشغل الركن الشرقي من تلك الواجهة الرئيسية الحجرية واجهة القبة المدفن،وهي ملساء مبنية من الطوب الآجر ومقامة من الخارج من خلال مناطق إنتقال من درجتين،والمظهر الخارجي لها يوحي بأنها كانت مضلعة على غرار القباب المعاصرة لها من الفترة المملوكية البحرية" قبة القاصد،ايدكين البندقدار،أحمد المهمندار وغيرها" غلا أن يد التجديد من قبل لجنة حفظ الآثار العربية لم تكمل ذلك.

يفضى المدخل إلى دهليز صغير ثم إلى صحن مربع تقريباً يبلغ طول ضلعه 14,5م ،وبالجهة الجنوبية الشرقية من الصحن يوجد إيوان القبلة وهومستطيل الشكل اتساعه 7,90م وعرضه حوالي 7م ،بصدره يوجد دخلة المحراب المستحدثة حاليا والتي تأخذ الهيئة الأصلية في الشكل العام فقط دونما الزخرفة،حيث يتوج دخلة هذا المحراب عقد نصف دائري يليها أخرى داخلية أيضاً.

وبالجهة الشمالية الشرقية لهذا الإيوان يوجد دخلة شباك مستطيلة تطل على قبة دفن الأمير مغلطاي الجمالي،وبالجهة المقابلة فتحة باب مستطيلة يبدو من هيئتها أنها كانت تفضي على مسكن شيخ المدرسة والخانقاة.ويسقف هذ الأيوان سقف خشبي مستو حديثاً.

وغير ذلك من المدرسة الآن تغيرت معالمه بسبب حالة الخراب التي تعرضت له حاليا،ويبدو ومن خلال الوثائق والمعالم المتبقية لمدارس وخانقاوات نفس الفترة الزمنية،أن هذة المدرسة كانت مبينة على نظام المدارس ذات التخطيط المتعامد

الذى يتكون من صحن اوسط تحيط به أربع إيوانات من الجهات الاربع ومن المؤسف انه لم يبق من هذا العمارة حاليا غير الواجهة الرئيسية للخانقاه بدخلتيها المتشابهتين ومعها القبة المدفن فقط.

ويبدو أيضاً أن مساكن الصوفية والطلبة الدارسين بها والبالغ عددها عشرين خلوة قد أندثرت وكان موضعها خلف إيوان القبلة،والذي شغل محلها الآن منزل حديث.

وتقع قبة الدفن بالركن الشرقي من المدرسة،وهي عبارة عن مساحة مربعة الشكل طول ضلعها 4,30م بصدرها دخلة المحراب المجوفة والتي يتوجها عقد منكسر خلو من الزخرفة محمول على عمودين مثمنين من الرخام ،وبالجهة الشمالية الشرقية من جدار القبة يوجد فتحة شباك مستطيلة تشرف علة الواجهة الرئيسية للمدرسة مغشاه بمصبعات من الحديد يعلوها فتحة شباك أخرى على النظام القندلي البسيط مغشاة بزخارف جصية متنوعة معشق فيه الزجاج الملون.

ويتوسط القبة تركيبة رخامية باربعة رأووس مستديرة تعرف وثائقياً بالبابات والتركيبة في حالة يرثى لها من الحفظ الآن.ويعلو تربيع القبة منطقة الانتقال في كل ركن من الأركان المربعة والتي تتكون من ثلاثة حطات من المقرنصات تحمل رقبة القبة والتى فتح بها ستة عشرة فتحة شباك معقودة للإضاءة والتهوية،ثم خوذة القبة الملساء من الداخل والخارج.